Cahiers du CREAD n°9, *1er trimestre 1987, pages 1-15 (arabe).*

جابي عبد الناصر[*]

مكانة مركب العربات الصناعية برويبة في البحث الاجتماعي الجامعي

تقديم :

تحدثنا هذه المقالة القصيرة عن المكانة الخاصة التي احتلها مركب العربات الصناعية لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية لجامعة الجزائر حيث المقالة تفسر هذا الاهتمام الكبير بالمركب، بالمحاور التي أثارت فضول الباحثين أكثر من غيرها، و ذلك لتوضيح خصوصية العلاقة التي تربط الباحث في العلوم الاجتماعية بالمركب، هذه العلاقة المثالية نوعا ما و التي و رغم مكاسبها هذه يمكن أن تأخذ كمؤشر عن وضعية البحث العلمي في الجزائر.

أ- لماذا الاهتمام العلمي بالمركب ؟

مما لا شك فيه أن المركب قد استحوذ على اهتمام الباحثين في العلوم الاجتماعية الثلاث (علم الاجتماع، علم النفس، والعلوم الاقتصادية) مما جعلهم يخصصون لهم أكثر من 33 دراسة وأطروحة.

وهي المذكرات والأطروحات المتوفرة في مكتبات معاهد جامعة الجزائر فقط، أي أننا لم نتطرق إلى الدراسات الأخرى التي خصصت للمركب من طرف الطلبة أو الباحثين الجزائريين في الجامعات أو المراكز الجامعية الأخرى داخل الجزائر أو من قبل الطلبة الجزائريين أو حتى تلك الدراسات التي قام بها أجانب حول المركب، كما لم نقم بمجرد تلك الدراسات التي توجد منها نسخ بمكتبة معاهد جامعة الجزائر لسبب ما. هذه الملاحظات هي التي تجعلنا نقول أن عدد الدراسات المذكورة لا يعبر عن حقيقة الاهتمام بالمركب من قبل الجامعيين في العلوم الاجتماعية لأننا على سبيل الذكر لم نتطرق للدراسات الاجتماعية العلمية التي تطرقت جزئيا للمركب وهي كثيرة بل اكتفينا بالدراسات العلمية التي خصصت كليا للمركب.

بعد هذه الملاحظات نعود إلى الإجابة على سؤالنا المتعلق بأسباب الاهتمام بالمركب أي لماذا استحوذ المركب على كل هذا الاهتمام من قبل المتخصصين في العلوم الاجتماعية؟

يمكن أن نوجز الإجابة على هذا السؤال في ثلاث نقاط رئيسية نعتقد أنها يمكن أن تساعد على فهم هذا الاهتمام العلمي بالمركب. فالنقطة الأولى لها علاقة بالإنتاج الكمي الكبير للأوراق والوثائق والمراجع والإحصائيات التي يقوم بها المركب أثناء قيامه بعلمية إنتاجه الأصلي، فالمركب حسب رأينا لا ينتج عربات وشاحنات وحافلات فقط بل ينتج إنتاج من نوع آخر هو الذي أثار فضول واهتمام الباحثين في العلوم

الاجتماعية هذا الإنتاج هو هذا الكم الهائل من المعلومات العلمية الإحصائية حول سير المركب وعلى مختلف الأصعدة.

فالمركب من الوحدات الإنتاجية القليلة التي يمكن الحصول فيها على معلومات كافية عن التغيب العمالي والحراك أو التسرب العمالي أو تلك المتعلقة بالتكوين المهني أو أي موضوع من المواضيع التي تعتبر من اهتمامات العلوم الاجتماعية في الجزائر، حتى إننا نعتقد أن هذه الوفرة[1] في المعلومات نتج عنها سلبيات بحيث لم يعد الباحث يقوم بمجهود في تحليل هذه الوثائق بل أصبح يقوم بدله لذلك الموظف المحرر لهذه الوثائق بحيث أن "بحوثهم الميدانية" أصبحت عبارة عن تحليل لهذه الوثائق عليها في بعض الأحيان.

النقطة الثانية التي يكن أن تساعد على تفسير هذا الاهتمام بالمركب تتعلق بنوعية الاستقبال الحسنة التي يلاقيها الباحث في المركب وتوفر المركب على جهاز خاص لتسهيل مهمة الباحثين هذا الاستقبال الذي لا يجده الباحث في مؤسسات أخرى مما ساعد على قيام علاقات حسنة بين البحث العلمي الجامعي والمركب والدليل على ذلك أن هناك إجماع لدى الباحثين على الإشادة بهذا الاستقبال الحسن مما جعلهم يكررون العودة للمركب للقيام ببحوثهم. النقطة الثالثة المفسرة والتي لا تخلو من أهمية حسب رأينا تتعلق بما يمكن تسميته بالمكانة "الرمزية" التي يحتلها المركب على المستوين الشعبي والرسمي، هذه المكانة التي انعكست لدى الباحثين من خلال هذا الاهتمام العلمي بالمركب بحيث أن هذه الرمزية التي تربط علاقة المركب بمحيطه لا تخص الباحث الاجتماعي فقط فالسلطات الرسمية جعلت المركب رمزا للتصنيع في الجزائر من خلال زيارات الوفود الرسمية الغير منتهية للمركب نفس الشئ ، تقوم به الصحافة الوطنية بحيث يعتبر المركب قدوة ومثالا يستشهد به في كل المناسبات فمثلا ومن خلال تجربتنا في دراسة النزاعات العمالية في المركب فان النزاعات التي تحصل في المركب تأخذ مكانة إنتاجية أخرى[2] و ذلك من جراء هذه المكانة الرمزية التي يحتلها المركب في المجتمع الجزائر.

تقديم عام للدراسات الاجتماعية حول المركب :

بعد أن حاولنا تفسير سر الاهتمام العلمي بالمركب من قبل المتخصصين في العلوم الاجتماعية علينا الآن الدخول في تفاصيل هذا الاهتمام. فمن مجموع 33 دراسة خصصت للمركب نجد أن هناك تساوي بين نصيب علا من علم الاجتماع وعلم النفس (15 دراسة لكل تخصص علمي) في حين لا تتعدى حصة العلوم الاقتصادية ثلاث دراسات.

إن هذا التقسيم الكمي للدراسات بين التخصصات العلمية الثلاثة يعكس حسب رأينا نظام الدراسة المتبع في كل تخصص ومكانة البحوث الميدانية في كل تخصص من ذلك مثلا إجبارية مذكرات نهائية الليسانس في كلا من علم الاجتماع والنفس وعدم اجباريتها في العلوم الاقتصادية كما يمكن تفسير ذلك بالمحتوى النظري الذي أخذته العلوم الاقتصادية في الجزائر.

أما من حيث المستويات العلمية التي اهتمت بالمركب فنجد انه من مجموع الدراسات المذكورة هناك (25) مذكرة نهاية الليسانس وأربع (4) دبلومات للدراسات المعمقة و ثلاث دكتوراه من الدرجة الثالثة و دكتوراه دولة واحدة وهو تقسيم يعكس حسب رأينا مرحلة الطفولة التي لا زال يعيشها البحث العلمي في الجزائر بحيث كما ترى من الإحصائيات المذكورة أعلاه أن أغلبية البحوث لازال يقوم بها الطلبة لتحضير

شهادات علمية جامعية موجهة أصلا للحصول على درجات علمية، كما تبين من هذه الإحصائيات انعدام البحث العلمي المحترف والمنظم بحيث لم يجري أي بحث علمي في المركب خارج الإطار الجامعي الطلابي إن صح التعبير. أما من حيث التقسيم اللغوي فنجد أن الأغلبية البسيطة من مجموع العدد المذكور لازالت لصالح الفرنسية رغم تعريب العلوم الاجتماعية الكلي منذ بداية الثمانينات، أن هذا التقسيم اللغوي للدراسات يعكس حسب رأينا التاريخ أكثر من الحاضر أو المستقبل لان كل الدلائل تشير أن المكانة التي تحتلها العربية داخل الجامعة حاليا ستكون لها نتائج على مستوى البحث العلمي مهما طال الأمد، بعد أن تعرفنا عن الإطار العام للبحوث العلمية التي خصصت لمركب السيارات الصناعية من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية علينا الآن الدخول في تفاصيل أكثر لمعرفة أكثر دقة لدور كل من عالم الاجتماع و عالم النفس والاقتصادي في المركب و لنبدأ بعالم الاجتماع.

جـ - عالم الاجتماع في المركب :

كما عرفنا ذلك سابقا فقد خصص عالم الاجتماع 15 دراسة للمركب وهو رقم لا يعبر عن مدى اهتمام عالم الاجتماع بجامعة الجزائر بالمركب نظرا لضياع الكثير من الدراسات التي خصصت فعلا للمركب وعدم وجودها في مكتبة المعهد، أما من حيث المحاور... فمن مجموع عشر محاور قمنا بجردها (الجدول رقم 1) هناك المحاور التي اهتم بها من دون الباحثين الآخرين في التخصصات الأخرى مثل التكيف العمالي[**] : "التكيف الاجتماعي المهني للمهاجرين المندمجين في الصناعة الوطنية والنزاعات العمالية" الإضرابات في المركب "و التغيب" محاولة تحليل الأسباب السوسيولوجية للتغيب في الجزائر : حالة المركب "والأخريات" و ذلك من خلال دراسات منوغرافية لعمارتي "الهكيلة والمسبكة" و"ظاهرة العادم" أما المحاور المشتركة التي قام بالتطرق لها مع عالم النفس او الاقتصادي فهي التكوين المهني و ذلك من خلال العناوين التالية. "التكوين المهني وأثره على التحكم في الصيانة" والتكوين المهني وآثار الاجتماعية، والاقتصادية والتكوين المهني في الجزائر وموقف العمال منه وأخيرا "الأسس الاجتماعية للتكوين المهني في الجزائر".

وزيادة على التكوين المهني ضمن المحاور المشتركة نجد مواضيع أخرى مثل : "دور الإعلام في المؤسسة" و"ظروف العمل" كما أن هناك مواضيع أخرى لم يتطرق لها عالم الاجتماع بتاتا وكانت من نصيب التخصصات العلمية الأخرى.

إذن هذه هي الصورة بصفة إجمالية على مستوى الاهتمامات أما إذا قمنا بالتطرق إلى المحاور من خلال التقسيم اللغوي فسنجد انه من مجموع الثمان محاور التي تطرق لها عالم الاجتماع نجد أن هناك محورين مشتركين فقط بين العربيين والمفرنسين وهما التكوين المهني والنزاعات العمالية في حين أن المحاور الست الباقية نجد التطرق لها إما من طرف عالم الاجتماع المعرب أو المفرنس.

إلا أننا نعتقد أن من ميزات عالم الاجتماع في اهتمامه بالمركب هي كونه أن المركب لم يكن حكرا على قلة من الباحثين دون الأخرى بحيث أن المركب قد عرف الطالب الذي ينهي دراسته على مستوى الليسانس أو دبلوم الدراسات المعمقة أو الأستاذ الباحث الذي يعد لتحضير شهادة الدكتوراه.

الميزة الأخيرة التي تميز علاقة عالم الاجتماع بالمركب هي القدم حيث يعتبر اول من دخل المركب وذلك في سنة 1979، والذي يبدوا غريبا نوعا ما ان هذا الاهتمام

المبكر بالمركب كان من قبل علما الاجتماع الذين حسبما يبدو لم يكن عامل اللغة حجزا في وضع علاقات مبكرة مع المركب.

حـ - عالم النفس في المركب :

من حيث الكم اهتم عالم النفس الجزائري اهتمام بالمركب مماثلا لزميله عالم الاجتماع وذلك بتخصص 15 دراسة للمركب ركز فيها على الخصوص على محاور[3] مثل الانتقاء الوظيفي "الانتقاء الوظيفي و تحقيق الأهداف في المؤسسة" الانتقاء الوظيفي والنجاح المهني". "هل يوجد تجانس بين النظري والتطبيق في انتقاء العمال عند التشغيل." والتكنولوجيا : "مقياس درجة التحكم في التكنولوجيا" وهما المحوران اللذان تواجد فيها عالم النفس لوحده في حين نجده مشتركا مع عالم الاجتماع والاقتصاد والمحاور الأخرى مثل التكوين المهني : "التكوين المهني وأثره على الأداء في العمل" وتبديد التكوين المهني" و"مقارنة بين التكوين المهني بالتجربة والتكوين المهني في المركب التكوين" و"علاقة بالإنتاج كما تطرق عالم النفس إلى الإعلام من ذلك هذا العنوان "دور تقنيات الإعلام في الوقاية من حوادث العمال" كما تطرق إلى موضوع ظروف وتنظيم العمل من خلال العناوين التالية : "الاستراحة في تنظيم العمل في المركب" دور السكن في المحيط الاجتماعي الاقتصادي للإنتاجية" "النتائج النفسية والفويولوجية المكرر المجزء والتكيف في العمل" دوريات العمل وعلاقاتها بالأداء واخيرا ضمن المواضيع المشتركة دور " تنظيم العمل في الحد من الاستقرار الوظيفي لدى الاطرات".

هذه هي الصورة على مستوى المحاور التي اهتم بها عالم النفس من خلال العناوين المذكورة. أما من حيث التقسيم اللغوي بين عالم النفس المعرب وزميله المفرنس فنجد أن الانقسام اللغوي الذي لاحظناه عند علماء الاجتماع لا يتواجد بهذه الحدة عند عالم النفس بحيث من مجموع ست محاور تم التطرق عالم النفس نجد أن ثلاث محاور مشتركة بين المعرب والمفرنس (التكوين المهني تنظيم العمال، وظروف العمل) .

اما على مستوى الدراسات فنجد ان عالم النفس على عكس عالم الاجتماع لم يهتم بالمركب الاعلى مستوى مذكرات نهاية الليسانس بحيث لم تخصص شهادات عليا او بحث للمركب.

كما تأخر اهتمام عالم النفس بالمركب لغاية سنة 1981 أي ان عالم النفس تأخر عن عالم الاجتماع في الاهتمام بالمركب بسنتين.

هـ- عالم الاقتصاد بالمركب :

بعد أن تعرفنا عن نوعية العلاقة التي أقامها كلا من عالم الاجتماع وعالم النفس بالمركب علينا الآن التطرق إلى علاقة عالم الاقتصاد بالمركب.

فأول ميزة ضمن هذه العلاقة من الناحية الكمية أنها علاقة ضعيفة بحيث يخصص عالم الاقتصاد إلا ثلاث دراسات فقط من المجموع الكلي الذي خصص للمركب.

اما من حيث المحاور فقد انحصر اهتمام عالم الاقتصاد بمحور واحد فقط هو محور تنظيم العمل وذلك من خلال العناوين التالية : "سير تنظيم العمل في الجزائر: حالة المركب" والمحيط الاجتماعي للعمل والتصيع "حالة المركب" وهي دراسة قام بها صاحبها على مستوى دكتورا الدولة و قبل ذلك ضمن دبلوم الدراسات المعمقة، الميزة الأخرى التي تميز علاقة عالم الاقتصاد بالمركب هي أن المواضيع التي تطرق لها

عالم الاقتصاد كانت كلها باللغة الفرنسية كما لم يتطرق إلى المركب إلا ضمن الدراسات العليا بعد التدرج أي ان المركب كان حكرا على الطلبة الأساتذة.

وأخيرا كان اهتمام علماء الاقتصادية بالمركب اهتمام متأخرا بحيث ان اول بحث خصص للمركب كان في سنة 1982.

بعد أن انتهينا من هذا التقديم الموجز للعلاقة التي تربط الباحثين في العلوم الاجتماعية بالمركب ما هي العبرة التي يمكن الخروج بها ؟

الخلاصة :

لعل أول سؤال يطرح نفسه يتعلق بمدى مساهمة هذه البحوث في التحكم العلمي في المركب، و قد لا نذيع سرا إذا قلنا ان سؤال من هذا النوع لا مجال إطلاقا لطرحه و ذلك لمجرد ان كل هذه الدراسات والبحوث لم تسلم منها أي نسخة أو ملخص عنها لإدارة المركب وإطاراته، بحيث ان مصير هذه البحوث يكون في أحسن الحالات رفوف مكتبات المعاهد أو الضياع النهائي بل إن ادراة المركب و حتى لعهد قريب كانت تجهل وجود حتى هذه الدراسات.

إن هذا الوضع يطرح بحدة مشكل البحث العلمي في الجزائر وعلاقته بمحيطه الاجتماعي فالباحث لا يرى انه من الضروري تبليغ نتائج بحوثه إلى من يهمه الأمر وعلى رأسهم المسؤولين الذين سهلوا له كل الأمور حتى يقوم ببحثه على أحسن وجه، نفس الشئ بالنسبة للمسؤولين الذين لا يرون أي ضرورة في عملية الحصول على هذه البحوث الميدانية، النقطة المتعلقة لمدى إمكانية الاستفادة من هذه البحوث يطرح قضية لغة هذه البحوث فمع تعريب العلوم الاجتماعية – و هي هنا مجال حديثنا – نجد أن إمكانية الاستفادة حتى مع توفير هذه البحوث – من هذه البحوث قليلة أو منعدمة إذا لم توجد حلول لهذا المشكل الذي قد يطرح كعائق جديد بين الجامعة و محيطها الاجتماعي والاقتصادي.

بعد هاتين الملاحظتين نعود إلى محاور البحوث لنقول انه ورغم التنوع النسبي الملاحظ على محاور البحث إلا أن هناك محاور جديرة بالبحث ولم تتطرق لها هذه البحوث حيث مازالت المواضيع الكلاسيكية هي المسيطرة من تكوين مهني وتنظيم عمل... الخ كما أن هناك تركيز غير مبرر في البحث على فئة العمال بحيث أن البحوث أهملت القوى الاجتماعية الأخرى المتواجدة في المركب مثل الإطارات و التأهيل والشباب.

TABLEAU 1 : RECAPITULATION DES THESES – MEMOIRES SOUTENUS
(Par discipline et langue)
جدول يبين التقسيم السنوي للدراسات
(حسب اللغة والتخصص)

AXE DE RECHERCHE	TOTAL	N O M B R E	مجموع	محور البحث
FORMAT. PROFES.	09	1^b 1^b 1^d 2 1^b 1^c 1^d 2^d 3	09	التكوين المهني
ORGAN . DU TRAV.	07	1^c 1^c 1^b 1^e 4^a 2^a 3^a	07	تنظيم العمل
CONDIT. DE. TRAV.	04	1^b 1^c 1^c 1^d	04	ظروف العمل
SELEC. PROFES.	03	1^c 1^c 1^c	03	الانتقاء الوظفي
ADAPT .AU TRAV.	02	1^e 1^e	02	التكيف الحمالي
ABSENTEISME	01	2^e	01	التغيب
INFORM.- COMMUNIC	02	1^b 1^d	02	الإعلام - الاتصال
CONFLITS DE TRAV.	02	3^d 1^e	02	نزاعات العمل
TECHNOLOGIE	01	1^b	01	التكنولوجيا
DIVERS	02	1^d 1^d	02	أخرى

- Sc. Eco . (L.F) : a -علوم اقتصادية (ف)
- Psycho. (L.N): b - علم النفس (ع)
- // // (L.F): c -علم النفس (ف)
- Sociol. (L.N) : d - علم الاجتماع (ع)
- // // (L.F) : e - علم الاجتماع (ف)
- 1. Mémoire de fin de licence - لسانس – 1 -
-2. D.E.A. -دراسات معمقة -2-
- 3. Doctorat 3e cycle -دكتوراة الدرجة الثالثة -3-
-4- Thèses d'Etat -دكتوراة الدولة -4-

TABLEAU 2 : EVOLUTION ANNUELLE DES THESES – MEMOIRES SOUTENUS
(par discipline et langue)
جدول يبين عدد المذكرات واطروحات
(حسب التخصص و اللغة)

ANNEES / AXE DE RECHERCHE	1979	1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	السنة / محور البحث
FORMATION. PROFESSIONELLE			1^d	1^c 2^e	2^d	1^e	1^b 1^d	1^b 3^e	التكوين المهني
ORGANISATION DU TRAVAIL	1^d		1^c	2^a	1^c	3^a	4^a	1^b	تنظيم العمل
CONDITIONS DE TRAVAIL			1^c	1^c					ظروف العمل
SELECTION . PROFESSIONNELLE			1^c		1^c 1^c				الانتقاء الوظفي
ADAPTION AU TRAVAIL					1^d 1^d				التكيف الحمالي
ABSENTEISME	1^d			2^e			1^b		التغيب
INFORMATION - COMMUNICATION	1^d					1^e		3^d	الإعلام - الاتصال
CONFLITS DE TRAVAIL.						1^b			نزاعات العمل
TECHNOLOGIE		1^d					1^d		التكنولوجيا
DIVERS	02	01	04	05	06	04	06	05	أخرى

TOTAL GENERAL : 33 :المجموع العام

الهوامش

[*] مدرس في معهد علم الاجتماع باحث في المركز

[1] ربما يكون من المنطق ربط هذه الوفرة بكون أن الطرف الفرنسي هو الذي قام ببناء هذا المركب أي أن هذه الوفرة من المتخلفات البيروقراطية الفرنسية المسهورة بولعلها بالتعامل الورقي.

[2] كمثال عن ذلك نزاعات سبتمبر 82 والتي مست خمس وحدات إنتاجية والمنطقة الصناعية برويبة في نفس اليوم ولنفس السبب (الأرباح) إلا أن وضعها تميز في المركب بصورة خاصة.

[3] - انظر في نهاية المقالة الجدول بين 1 و 2.

[**] عناوين البحوث موضوعة بين مزدوجتين.